المسرح وتنمية ثقافة الطفل العربي

(مسرحية الذئب الماكر نموذجاً)

د. شوق النكلاوي *

الثقافة هي "أسلوب الحياة السائد في المجتمع"، وهي مجموعة كاملة متعلمة من أنماط السلوك البشري".

ولما كان الطفل جزءاً من منظومة المجتمع وركناً ركيناً من أركانه فقد اهتم الباحثون بوضع تعريفات لثقافته؛ فهي جزء من ثقافة المجتمع تختص بالقيم والأعراف والتقاليد التي تساعد على تنشئة الأطفال في إطار من الرؤية الثقافية العامة للمجتمع، وتؤهلهم ليكونوا أعضاءَ فاعلين في مجتمعاتهم مستقبلاً بوصفهم ذخيرة هذا المستقبل؛ لذلك تسعى المجتمعات ذات الثقافات العريقة إلى توفير العناصر الثقافية الإيجابية بها عبر الأجيال حفاظًا على استمرار الجماعة وتماسكها.

وثقافة الطفل بعناصرها المختلفة المتمثلة في: الدين والمعتقدات والتقاليد والعادات والقوانين والتشريعات والمعارف والعلوم والآداب والفنون، وتكتسب من خلال المؤسسات الثقافية كالأسرة والمؤسسات الإعلامية والثقافية والتعليمية والمجتمع، وتؤثر على الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة وتشكل شخصيته بوصفه فرداً ناتجاً عن هذه الثقافة.

مكونات الثقافة

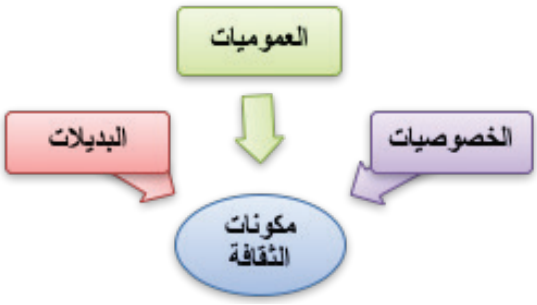

تتكون الثقافة من ثلاثة أقسام يوضحها الشكل التالي (العموميات، الخصوصيات، البديلات):

العموميات: وتشمل العناصر التي تشيع بين الأطفال في المجتمع الواحد بقطع

* مدرس أدب الطفل – كلية التربية للطفولة المبكرة – جامعة مطروح – مصر.

النظر عما بينهم من فروق في الانتماء المهني أو الطبقي لذويهم، وهي المكونات الثقافية التي يشترك فيها جميع أفراد المجتمع وتشمل اللغة وطريقة التحية، ونوع الملبس، والنظام المعماري، والقيم والمبادئ، ونوعية السلوك، ويساعد على تحديد هذه العموميات، التاريخ المشترك والخبرات العامة والمتوازنة.

الخصوصيات: هي العناصر التي لا يشترك فيها جميع الأطفال في المجتمع الواحد، بل يختص بها أعضاء جماعات معينة منهم؛ حيث تتوزع هذه العناصر على بعض أطفال طبقات اجتماعية أو فئات مهنية كأبناء الفلاحين أو العلماء أو الأطباء .. إذ إن أبناء الفلاحين- مثلاً- يحملون في ثقافتهم سمات ينفردون بها، وهي غير شائعة لدى الأطفال في البيئات الأخرى.

البديلات: هي العناصر التي تنتشر بين فئات من الأطفال ممن يتهيأ لهم الاتصال المباشر أو غير المباشر بثقافات أخرى غير ثقافة مجتمعهم؛ لذا فهي دخيلة على ثقافة الأطفال، وتعني الرموز التي تظهر حديثاً، ويمكن الاختيار فيما بينها؛ فهي لا تنتمي إلى العموميات ولا إلى الخصوصيات بل تنتج عن الاتصال المباشر أو غير المباشر بثقافات أخرى.

مفهوم مسرح الطفل:

هو المكان المهيأ مسرحيّاً لتقديم عروض تمثيلية كتبت وأخرجت خصيصاً لمشاهدين من الأطفال، وقد يكون اللاعبون كلهم من الأطفال أو الراشدين أو خليطًا منهما معاً، ومن ثم فالمعول الأساسي هو الجمهور الذي أنتجت لأجله العملية المسرحية نصّاً وإخراجاً.

وتسمية مسرح الطفل تطلق على العروض التي تتوجه إلى جمهور من الأطفال، وتتراوح في غاياتها بين التعليم والإمتاع.

مما سبق يستطيع الباحث أن يعرِّف مسرح الطفل بأنه مسرح أنتج خصيصاً للأطفال، قد يكون عرائسيّاً أو بشريّاً؛ لتنميتهم عقليّاً وثقافياً وخلقيّاً وعاطفيّاً وجماليّاً من خلال التكامل بين النص الأدبي- إن وجد- ولغات خشبة المسرح.

وفي ضوء التعريفات السابقة نلاحظ عدة أمور مهمة منها:

أن سياسة مسارح الأطفال تختلف فيما يتعلق بنوع الممثلين الذين يقدمون أعمالهم للأطفال، فهناك بعض المسارح التي تقدم عروضها من خلال ممثلين من الأطفال وحدهم، وهناك مسارح أخرى تعتمد على ممثلين من الكبار وحدهم، وثمة نوع ثالث يقدم عروضاً مسرحية تعتمد على ممثلين من الكبار فضلاً عن الصغار ولكل منها خصوصيته وأهميته وهو ما نوضحه على النحو التالي:

مسرحيات يمثل فيها الأطفال:

إن أهم ما يميز الأداء التمثيلي عند الطفل هو المرونة والنشاط و التلقائية التي يتمتع بها بالإضافة إلى خياله المنطلق، "فإن التلقائية والخيال هما أساس الإبداع في فن التمثيل، وهما البذرة الخصبة التي توجد عند الطفل، ويمكن من خلالها الانطلاق إلى شكل حرفي متخصص، وهي القاعدة التي من دونها لا يتمّ أي نوع من التزاوج بين المدارس المختلفة في فن التمثيل.

فالطفل حينما يقف على خشبة المسرح يعبر عن ذاته ومشاعره فينطلق بحركاته حسبما يراه مناسبًا، وحسب طبيعته الخاصة، ذلك البرعم الصغير المفعم بالنشاط والحيوية يؤدي دوره في إطار من اللعب، فيقف واثقاً من نفسه قادراً على مواجهة الجمهور.

والنشاط التمثيلي للأطفال هو أحد الأعمدة الرئيسة التي يقوم عليها تعليم الأطفال وتثقيفهم ومساعدتهم على النمو والنضوج العقلي والنفسي، وهو ما يعرف بالتربية من خلال الفن، سواء أكان هذا النشاط التمثيلي الذي يمارسه الطفل في المسرح المدرسي أم في النوادي ومراكز الشباب أم في غيرها من الأماكن التي تهتم بتنمية مواهب الأطفال التمثيلية، ولكن يجب أن يراعي القائمون على تدريب الأطفال الجانب التربوي فضلاً عن الجانب الفني.

مسرحيات يمثل فيها الكبار:

التمثيل أمام الأطفال يشبه التمثيل أمام الكبار، على أن يكون بصورة أفضل وأوضح وأنقى، ويقبل الأطفال على مسرحهم وكأنهم ذاهبون للاحتفال بالعيد، وهم يشاهدون على خشبة المسرح أعمالاً لمؤلفين كبار.

إن أهم ما يميز هذا الشكل المسرحي هو المهارة الفنية للممثلين؛ حيث إنه باستطاعتهم تكوين صورة صادقة لشخصيات المسرحية، فهم أقدر على فهم طبيعة الأدوار، وهذا الشكل المسرحي يختلف عن سابقه في كونه المسرح الذي يمكن أن ينقل فكر المؤلف والمخرج إلى المشاهدين الصغار، وإيجاد التوازن بين المضمون وعناصر المرح والفكاهة.

مسرحيات يمثل فيها الأطفال والكبار:

هناك الكثير من الآراء التي ترى أن الجمع بين الكبار والصغار في عرض مسرحي واحد هو أفضل الأشكال والصيغ المسرحية التي تقدم للأطفال والأكثر إرضاءً لهم، ويرجع ذلك إلى رغبة الطفل في أن يشاهد نفسه على خشبة المسرح فضلاً عن رغبته في التشبه بعالم الكبار واندماجه

في أفعالهم؛ حيث يثبت لنفسه قدرته على اقتحام عالم الكبار، كما يقتحم الكبار عالمه الصغير ومع أن مشاركة الطفل – ممثلاً – في العرض المسرحي تُعَدّ مسئولية كبيرة تقع على عاتق العاملين في ذلك العرض كافة، فإن المسئولية الكبرى تكون على الممثلين الكبار من خلال عملهم علي بث الطمأنينة والثقة في نفوس الأطفال الذين يشاركونهم التمثيل.

أهداف المسرح:

تُعَدّ المسرح ركيزة مهمة من ركائز الأنشطة الثقافية التي تسهم في نمو شخصية الطفل مبكراً؛ حيث يلعب دوراً مهمّاً في خلق الشخصية الواعية المتكاملة القادرة على مواجهة المواقف الحياتية بشجاعة وثبات؛ لما له من أثر فعال في مخاطبة عقول النشء ووجدانهم، وفتح قنوات الاتصال والمعرفة من خلال ما يقدمه من تجارب إنسانية وقيم تربوية، ومعارف علمية، ويعتبر من أهم أساليب التربية الحديثة ومن أفضل وسائلها لتنمية شخصية الأطفال في مراحل طفولتهم المختلفة. كما ينجح في تزويدهم بالمعلومات الثقافية المختلفة، ومدهم بالخبرات الجديدة، وتوسيع مداركهم؛ فمسرح الطفل قادر على تهذيب الجيل الجديد وتربيته وإعداده ثقافيّاً وخلقيّاً ونفسيّاً وجمالياً ليكون قادراً في المستقبل على القيام بواجباته والتزاماته تجاه ذاته وتجاه الآخرين.

من هنا تتعدد أهداف مسرح الطفل ويوضحها الشكل التالي:

- **الهدف الترفيهي**: ويعدّ بمثابة البوابة التي تعبر منها أهداف مسرح الطفل الأخرى جميعها؛ فمن دون المتعة والسعادة اللتيْن يجلبهما المسرح إلى نفوس الأطفال– على اختلاف مراحلهم العمرية – في أثناء مشاهدتهم للعروض المسرحية؛ لا يستطيع مسرح الطفل أن يحقق أيّاً من أهدافه الأخرى، ويتحول العمل المسرحي إلى مجموعة من الحكم والمواعظ والشعارات والإرشادات الجافة.
- **الهدف التربوي**: يُعَدّ مسرح الطفل من أهم وسائل التربية الحديثة بما يتضمنه من عناصر سمعية وبصرية تخاطب عقل الطفل ووجدانه، فهو "إحدى أهم وسائل التربية الراقية والمؤثرة؛ بحكم أنه يخاطب حواس الطفل المختلفة، إضافة إلى كونه أبرز وسائل الاتصال الجماهيري الفعالة والمؤثرة".

  وعن طريق المسرح نستطيع أن نرسخ الكثير من القيم الاجتماعية والخلقية والعادات والتقاليد في عقول الأطفال ووجدانهم.
- **الهدف التكويني**: يلعب مسرح الطفل دوراً مهمّاً في تكوين شخصية الطفل وبنائها بناءً

سويّاً؛ وذلك من خلال العمل على تخليصه من التمركز حول ذاته والتشبث برأيه؛ "فالمسرح يضع الأطفال وجهاً لوجه أمام تجارب جديدة ويحفزهم على التطلع نحو تجارب أخرى؛ وبذا يوسع من آفاق حياتهم، فضلاً عن إجابته على آلاف التساؤلات التي تدور في أذهانهم بطريقة شائقة وفي صورة فنية واضحة.

ويتحقق ذلك من خلال ما يقدمه المسرح من وجهات نظر جديدة في الأشخاص أو الأشياء أو الوقائع التي يحتك بها الطفل ويتفاعل معها، وفي حالة قيام الطفل بالتمثيل تنمى لديه الثقة بالنفس ومواجهة الجمهور والتفاعل مع الآخر واحترامه.

- **الهدف التعليمي:** يتلقى الأطفال من خلال المسرح مختلِف العلوم والمعارف في أسلوب ممتع وشائق، فالمسرح إحدى أدوات نقل كمية محددة من المعرفة وتمريرها عبر نص درامي ومخطط حركي، ومؤثرات بصرية وصوتية

كما أن المسرح يلعب دوراً حيويّاً ومهمّاً في تقديم شتي المواد الدراسية والتعليمية في أسلوب شائق وممتع يتقبله الأطفال بسهولة ويرسخ في عقولهم، وذلك فيما يعرف بمسرحة المناهج التعليمية. كما أن توظيف التقنيات المسرحية يسهم بشكل كبير في إبراز مضمون الحدث وإلقاء الضوء على القضايا والمشكلات.

- **الهدف اللغوي:** يعمل مسرح الطفل على تنمية الجانب اللغوي وإثرائه لدى الأطفال، وذلك من خلال لغة بسيطة محببة تقدم للطفل نثراً كانت أم شعراً، ولكنها لابد أن تكون لغة بعيدة عن السطحية والإسفاف الذي يزخر به واقعنا المعاصر، وكذلك بعيدة عن التعقيد والمبالغة، وأن تكون لغة حية متداولة في كلام الناس أو ما يمكن أن نطلق عليها اللغة العربية المعاصرة.
- **الهدف النقدي:** إن مسرح الطفل بما يتضمنه من قصص وقضايا تعرض للأطفال، يجعل المسرح بمثابة مرآة يرى فيها الطفل عالمه الواقعي، فيستطيع أن يفرق بين الخبيث والطيب ويرفض المفاهيم والأفكار البالية، ويحافظ على القيم والمثل النبيلة.
- **الهدف الإبداعي:** إن الفنون المتعددة التي يقدمها مسرح الطفل توقظ لدى الأطفال الإحساس بالمبادئ الفنية الأولية، وتساهم في تنمية عمليات الإبداع الفني لديه وتعمل علي تنشيطها، فالمسرح بما يحتويه من مادة أدبية وموسيقية وفنون حركية وتشكيلية يُعَدّ من أهم وسائل صقل تذوق الطفل للفنون.

كما أن المسرح يطلق عليه اصطلاحاً "أبو الفنون"، أو هو نتيجة حتمية لجمع شمل كل الفنون في تركيبة واحدة نطلق عليها "العرض المسرحي"، في وحدة أسلوبية وفنية بقيادة

"السينوغراف أو المخرج"– الرجل الأهم في المسرح – فهو المفكر، والقائد والمنظِّم لكامل العملية في تنسيق الفضاء.

مسرحية الذئب الماكر:

النص:

تطرح مسرحية "الذئب الماكر" العديد من القيم الثقافية التي تساهم فى إعمال ذهن الطفل المتلقي وتنمية إدراكه ووعيه، تأتي على رأسها ثقافة التعايش السلمى وفكرة تقبل الآخر، والسماح بتعدد الآراء والمذاهب؛ حيث بدأت هذه الثقافة فى الاندثار خاصة بعد الانعكاسات السلبية التي سببت للإنسانية على طول امتداد تجربتها التاريخية الكوارث والمآسي من احتراب واقتتال وعداوة، نغصت على الإنسان حياته وأفقدته الأمن الذى هو أهم شروط تحقيق السعادة الفردية والاجتماعية، وضيعت عليه فرص البناء، ولم تكتفِ بذلك بل ساهمت في هدم وتخريب كل ما بنيَ بعرق وجهد وفكر الأجيال، وأثرها فى عرقلة خلق مجتمع صحى متكامل متحاب.

يحاول العرض غرس هذه الثقافة فى نفس الطفل من جديد وترسيخها من خلال أسلوب كوميدي مشوق يتماهى وخصائص المرحلة العمرية للأطفال. تبدأ المسرحية بمشهد احتفالي داخل غابة فهذا اليوم هو يوم عيد الغابة، ولذا تحتفل الحيوانات؛ الأرنب والذئب والنمر والغزال، ويقومون ببعض الرقصات التي تدلّ على الفرح والبهجة، بينما يجلس الأسد في أعلى الربوة وينظر إليهم في سعادة.

الحيوانات: عاش الملك.... عاش الأسد.

الأسد: شكراً.. شكراً لكم.

النمر: مولانا الأسد.. إنّنا سعداء بهذا العيد وبهذا اليوم البهيج الذي تحضر فيه معنا.. أدام الله بقاءك يا مولاي، وإننا جميعاً ننتظر منك كلمة تنعش صدورنا وتنير طريقنا.. فلتتفضّل يا مولاي.

الغزال: أحسنت أيها النمر.

الأسد: أيّها الملأ الكريم إنني سعيد جدّاً بالتفافكم حولي وحضوركم المكثف الذي أسعدني كثيراً والذي إن دلَّ فهو يدلّ على صفاء قلوبكم ومحبّتكم لبعضكم وتعاونكم بينكم، فمن منكم لم يجد مأوى في هذه الغابة؟

الحيوانات: لا، لا يا مولاي.

الأسـد: ومن منكم لم يجد ما يأكل أو يشرب ؟ فهذه الجداول الممتدّة على طول الغابة والثمار المتنوعة هي ملك لكم بجهدكم وعرقكم".

يرسخ العرض ثقافة التعايش السلمي المبنيّ على الاحترام المتبادل، وإصلاح النفوس وإفراغها من الكراهية، ليهدف إلى زرع بذور التعاون والإيثار، ولكن ظهور إيديولوجيات تحاول لمصالحها الخاصة أن تضعف المجتمع، نجحت فى أن تعكر صفو هذا التعايش، وهو ما وضحه النمر فى حديثه إلى الحاكم (الأسد).

النمـر: لقد صدقت يا مولاي في كل ما قلته خاصّة ونحن الآن نعيش في سلم، فلا نزاع من أجل العيش وقد أصبحنا من أقوى الحيوانات وغابتنا من أفضل الغابات؛ وهذا ما سيدفع بالفضوليين إلى حبك مكائد لنا.

ويتطرق العرض إلى العلاقة بين العقل والقوة بوصفها علاقة وطيدة وثيقة، علاقة توافق وتكامل؛ علاقة تلازمية لا يمكن الفصل بينهما ولكل منهما ميدانه ووظيفته، فالعقل ميدانه عالم الحق والمنطق ووظيفته تتمثل في كونه آلة التمييز وأداة فهم، أما القوة فهي أداة تنفيذ. ويرسخ العرض ثقافة التعايش السلمى من خلال تركيزه على تلك العلاقة البدهية بين العقل والقوة.

الأسـد: **أحسنت أيها النمر و لكن إن وجدت القوّة ينقصنا العقل هذا الذي تميّز به الإنسان. فبالعقل استطاع أن يصنع ويبتكر أشياء كثيرة أصبحت الآن في خدمته، ونحن اليوم أيتها الحيوانات مجبرون على أن نتبع الآدميين في بعض ما يفعلونه.**

وفى أثناء النقاش يدخل الأرنب حارس الغابة راكضاً ليعلن عن رؤيته لكائن غريب يقترب من الغابة، يحاول الذئب الماكر فى بداية الأمر تكذيب الأرنب والتشكيك فى صدق كلامه، واتهامه بافتعال مشكلة وإشاعة الأخبار الكاذبة المضللة للتقرب من ملك الغابة، ولكن فجأة يدخل صبي ويرتمي علي الأرض فينزعج الجميع.

الأسـد: عجباً.. من يكون هذا الغريب؟

الذئـب: ابتعد يا مولاي...حذارِ لا تقربه إنه آدمي.

الأسـد: آدمي...ها...ها...ها أنا لا أخاف الآدميين... يبدو أنه مازال صغيراً.

الذئـب: لا يا مولاي.. لا يغرنك صغره. فربما يكون صياداً فيفتك بنا، أو تكون خدعة أو حيلة فإنني أعرف جيداً ألاعيب و حيل الآدميين، وربما يكون وراءه آخرون.

الأسـد: لا أظن ذلك، إنه صبي ويبدو أنّه مريض ولا يقوى حتى على الحراك. سأقترب منه لأفحصه.

يجد الأسد ضالته المنشودة فى هذا الصبي الصغير، فمن وجهة نظره أن مجتمع الغابة القوى فى حاجة إلى عقل واعٍ رشيد يسهم فى تطوره وتقدمه؛ لذا يسعى إلى إنقاذه عسى أن يكون له شأن عظيم فى هذه الغابة.

الأسد: سوف يكون هذا الطفل العقل المدبر لهذه الغابة، وسينيرها بأفكاره، وسأدعو كل الحيوانات للالتفاف حوله والاستفادة منه.

النمر: نعم يا سيدي، فكرة جيدة.

يدخل الأرنب ومعه الماء ويسقي به الصبي فينهض ثم يسقط ثم ينهض مرّة أخرى وينظر مندهشاً إلى الحيوانات والأشجار من حوله، وفجأة يرى الأسد فتصيبه حالة من الذعر وينطلق هنا وهناك فى محاولة للهروب، يحاول الأسد تهدئته وإدخال الأمن والطمأنينة إلى قلبه، وبعد أن يهدأ الطفل ويشعر بشيء من الأمان تطلب منه الحيوانات أن يقص لها حكايته وكيف جاء وحيداً إلى هذه الغابة.

الصبي: مدينتي لا تبعد كثيراً عن هذه الغابة. كانت مدينة هادئة أعيش فيها بين والدي ووالدتي وإخوتي وأمرح وألعب مع خلّاني وأصدقائي. وذات يوم وجدت نفسي وحيداً تائهاً لا بيت لي ولا صديق (يجثو الصبي على ركبتيه باكياً). هذه هي حكايتي أيها الأسد أقسم لك.

يحاول الذئب الماكر– كعادته– تكذيب قصة الصبى، واتهامه بالهرب من خطأ ارتكبه مع أهله أو أصدقائه، وعلى النقيض يحاول الطفل إقناع الأسد بصدق روايته وأنه قد جذبه جمال هذه الغابة فأتي ليمرح مع أصدقائه فتاه في الطريق، ولكن يظل أعداء التعايش السلمى متربصين يتلذذون بتعكير الصفو وإشاعة الاضطرابات لتحقيق مصالح ذاتية.

الذئب: إنه يوم مشئوم، يبدو أن هذا الأمر لن يمرّ بسلام، من أين نزل علينا هذا الصبي؟ لقد أصبح عدوّاً لي، فبعد أن كانت الأرانب العائق الوحيد للوصول إلى هدفي، ها هو هذا الآدمي التعيس يزيد الأمر تعقيداً و يصبح عائقاً بيني وبين التقرب إلى الملك وكسب ثقته، ولكن لن أرضي بذلك، يجب أن أقاومهم جميعاً لن يُثنيني عن عزمي أي شيء. سوف أفكر وأخطط حتى أجد الحيلة الملائمة للتخلص من الأرنب والصبي في الوقت ذاته ثمّ يأتي دور أسدهم المزعوم (يضحك ويخرج).

وفى المشهد الثاني تأتى البشرى فقد وفَّى الصبي بوعده، وقرر بناء جسر على النهر لمساعدة الحيوانات على العبور إلى الضفة الاخرى، وقد جمع الصبي أغلب الحيوانات ليريهم طريقة العمل، وبذلك بدءوا في جمع الأخشاب لبناء الجسر الذى سيكون بوابة السعادة والخير

لهم جميعاً وسيجمع شملهم في الغابتين ويعمّ الخير، لكن الذئب الذى لا يؤمن بثقافة التعايش السلمى كان له بالمرصاد، فأخذ يدبر له العديد من المكائد بغرض إفشاله.

الذئب: كنت أجوب البلاد شرقاً وغرباً؛ أستقصي الأخبار وأراقب الغابة وقد اطّلعت على أمر هامّ جدّاً وخطير جدّاً.

الأسد: وما هو؟

الذئب: إنّ الغابة محاصرة بالصيّادين، وقد يهاجموننا من الغابة المجاورة، وعبر الجسر يستطيعون الوصول إلينا.

الأرنب: كذب كذب يا مولاي، لا حقيقة فيما يقول، إنّها خدعة.

الذئب: لا، بل حقيقة، فالصبيّ اشترك مع الصيّادين في إنجاز خطّة جهنّمية ليمكّنهم من الوصول إلينا، فراح يتظاهر لنا بالتشرّد والمرض لنعطيه الأمان بيننا.. وابتكر لنا فكرة إنجاز الجسر ليمهّد لهم الطريق ويسهل لهم الهجوم علينا، وأظن أن هذه الأرانب شريكة معهم في هذه المكيدة.

يستنكر العرض ثقافة من الثقافات السلبية التي تمارس اليوم بشكل مطرد دون أي خجل وهى ثقافة الكذب بوصفها آفة اجتماعية خطيرة، وذلك من خلال شخصية الذئب الذي ارتكز فى اتهاماته للصبى على أباطيل مصطنعة فى محاولة منه لطمس جوهر الحقيقة، وتنطلي حيلة الذئب على الأسد ويتهم الصبى والأرنب بالخيانة.

وتمرّ الأحداث وتنعم الحيوانات بحياة رغدة بعد بناء الصبي للجسر، ولم يهاجم الصيادون الغابة فيكتشف الأسد حيلة الذئب وأكاذيبه، خاصة بعد أن يسمعه يتوعد الصبى والأرنب بالقتل حتى لا ينكشف أمره، يعتذر الجميع للصبى والأرنب الصادق، بل يترك الملك للصبى الحرية فى تقرير مصير الذئب وإنزال العقاب المستحق عليه، لكن الصبى يدرك قيمة ثقافة التسامح، ومقابلة الإساءة بالإحسان ودورها الحيوي فى بلوغ التعايش السلمى بين الأفراد حتى وإن اختلفت أجناسهم.

الأسد: هذا جميل منك لن ننساه أبدا، وإنّني أتأسف مرّة أخرى عمّا فعله الذئب معك، وإنّني أدعوك للحكم عليه بما يرضيك.

الصبي: لا داعي لذلك فالذئب لم يفعل ما يستحق كلّ هذا الاهتمام، فطبيعي أن لا يرضى بالغريب بينكم فله الحق أكثر منّي للعيش داخل هذه الغابة الجميلة، وثق أنني لا أبرر مكائده ومكره، بالعكس سوف يتعلم من أخطائه ويصبح من أطيب الحيوانات هنا.

الذئب: شكراً لك أيّها الصبي لقد قابلت إساءتي لك بإحسانك لي وعفوك عني، وأعدك بأن أعمل لصالح الغابة لتكون حياتنا وأيامنا دائماً أعياداً وأفراحاً.

وقد نجح المخرج فى توظيف جميع عناصر المسرح التشكيلية البصرية والسمعية من ديكور، وحركة، وإضاءة وملابس، وحوار، وموسيقى، ومؤثرات؛ للتأكيد على القيم الثقافية التي تضمنها العرض وإبرازها بشكل يتوافق مع وعى الطفل المتلقي وإدراكه لماهية الأشياء.

أولاً: لغة الجسد:

يتواصل البشر بينهم وبين بعضهم البعض من خلال لغتين مختلفتين تماماً، على الرغم من اتفاقهما في المعاني والدلالات اللتين ترسلانها، وهما: لغة الكلام اللفظية المنطوقة، والتي يستخدمها البشر – بأصواتهم – من أجل تبادل المعلومات، والتعرف على حقائق ومسميات الأشياء، ولغة الجسد وهي التي يستخدمها البشر– بأجسادهم – لا شعورياً، وهي اللغة الأبلغ في التعبير عما بداخل الإنسان من مشاعر وانفعالات، كما أنها المحددة للعلاقات المتبادلة فيما بين البشر، وهي لغة تعتمد على مخزون من الخبرات والتصورات، والذكريات والتجارب التي يتلقاها الإنسان عن طريق حواسه واستجابته لكل المثيرات التي تتحدد عن طريق إدراكه ووعيه، ذلك الوعي الذي يمكن أن يتجاوز الحواس نفسها، ليتحول إلى مظاهر ثقافية/ اجتماعية يتفق عليها أفراد المجتمع. وقد وظف المخرج لغة الجسد توظيفاً دلالياً ليعبر عن القيم الثقافية التي تضمنها العرض؛ حيث توافقت الحركات الجسدية للذئب مع تصورات الطفل المتلقي لشخصية الكاذب فنلاحظ أن حركاته محدودة ومتيبسة مع بعض الحركات من اليدين والرأس، كما أنه يتجنب اتصال العين مع محدثه، ويده تلامس دائمًا الفم أو الوجه أو الحلق.

كما نجده يلامس أنفه ويضع يديه دائمًا خلف أذنيه، وكلها حركات تشكل المخزون الثقافي للطفل المتلقي، وتتناسب مع طبيعة شخصية الكاذب.

كما تتفق لغة جسد شخصية الأسد ملك الغابة مع المخزون الثقافي للطفل المتلقي عن الشخصية القيادية، ففي وقت الجلوس، تجد الشخصية مستقيمة الظهر، وغالباً الأكتاف إلى الوراء قليلاً، خاصة وقت الاجتماعات مع حيوانات الغابة، واتخاذ قرارات مهمة، أما في وقت المشي فنلاحظ ثبات اليدين والوجه لأعلى.

أما الطفل الذكي الإيجابي المتعاون فكانت حركته متوافقة مع سماته الشخصية، حيث جاءت فى خطوط مستقيمة حادة، تشي بإرادة قوية وعزيمة. على عكس حركة الذئب الذى يرتبط فى

وعى الطفل الثقافي بمعاني المكر والشر والخديعة؛ حيث يعتبر من الحيوانات كثيرة الحركة التي لا تثبت ولا تستقر في مكان معين، فهو يحوم دوماً حول فريسته، ويسير فى خطوط متعرجة وبطريقة تلصصية.

كما جاءت حركة المجاميع فى مشهد بناء الجسر مؤكداً على ثقافة التعاون بين الصبي الصغير ومجموعة الحيوانات؛ حيث تميزت الحركة بالسرعة والنظام، والتنوع فى الخطوط والاتجاهات.

ثانياً: السينوغرافيا:

١. الديكور:

جاء المنظر متسقًا مع وعى الطفل الثقافي بشكل الغابة؛ حيث احتلت شجرتان كبيرتان مركز السيادة فى خلفية المسرح، بينما احتل عرين الأسد مساحة كبيرة فى اليسار وازنة ثلاثة تلال رملية فى اليمين، وغلب اللون الأخضر على مفردات الديكور المرتبط فى الثقافة الإنسانية بمعاني السلام والحياة والنماء.

وقد حرص المخرج على استخدام ألوان جذابة مبهرة تضمن جذب أنظار الطفل المتلقي؛ ليظل واعياً متيقظاً لما يقدم له من قيم تربوية ومعارف ثقافية، كما أكد العرض على ثقافة التوازن بين القوة والعقل من خلال تحقيق التوازن بتوزيع العناصر التشكيلية للتكوين داخل هذا المشهد بشكل معتدل؛ مما أعطى شعوراً بالراحة والجمال.

٢. الإضاءة:

لا شك فى أن الإضاءة عنصر مهم فى العرض المسرحي، فإلى جانب أنها تهدف عموماً إلى أن يكون الممثل مرئيّاً، فهي توحى بطبيعة المكان من ناحية وبالمناخ الدرامي المحيط بالممثلين من ناحية أخرى، وتساعد على خلق التأثيرات البصرية، وعلاقتها بالحركة، وفى عرض "الذئب الماكر" كان هذا هو المنهج المتبع، وقد تمَّ استغلال عنصر الألوان لإبراز القيم اللونية للملابس، كما استغلت الإضاءة بشكل متغير يتلون مع الإيقاعات الموسيقية باختلاف نموها وتطورها؛ بحيث يعطى كل هذا تأثيراً دراميّاً من خلال انسجام الإضاءة مع الحدث الدرامي وتعبيرها عن الحالة النفسية للشخصيات.

كما لعبت الإضاءة دوراً مهمّاً في التركيز على شخصيات، أو مفردات تشكيلية لأهميتها ودلالتها التعبيرية في المسرحية، كأن يسقط بؤرة ضوئية على "الأسد"؛ حيث يعتلى عرينه، أو على الطفل فى بداية دخوله، كما وظف المخرج الإضاءة الصفراء الباهتة فى مشاهد الذئب حين يفكر فى تدبير مكيدته الشريرة، فى دلالة على ثقافة الخداع السلبية.

خاتمة

إن مجموعة العناصر الفنية المختلفة التي احتواها هذا العرض من مفردات بصرية وسمعية تعتبر جرعات جمالية لرفع المستوى الحسى والوجداني لدى الطفل من جهة، والمستوى الثقافي والعقلي من جهة أخرى.

وبذلك جاءت الرؤية التشكيلية لعرض الذئب الماكر بما تشتمل عليه من (لغة الجسد، السينوغرافيا، الموسيقى والمؤثرات الصوتية) متوافقة مع خطابه الثقافي ؛ فقد تضمن العرض العديد من القيم الثقافية على رأسها ثقافة التحاور السلمي وفكرة تقبل الآخر والسماح بتعدد الآراء والمذاهب، وقد ظهرت تلك الرؤية من خلال تشكيل الغابة بكل مفرداتها (أشجار كثيفة، حيوانات، طيور، مؤثرات صوتية لتلك الحيوانات والطيور).

ومن خلال ما سبق؛ نستعرض النتائج العامة للدراسة وهي:

- أن المسرح إحدى قنوات الاتصال والمعرفة المهمة، من خلال ما تتضمنه عروضه من قيم تربوية ومعارف ومعلومات، لذا فهو من أهم أساليب التربية الحديثة التي تصقل شخصية الطفل وثقافته.
- أوضحت الدراسة أن العروض المسرحية التي تجمع بين الكبار والصغار تمثل عامل جذب أكثر للطفل من العروض التي يقدمها الكبار فقط، أو العروض التي يقدمها الأطفال فقط.
- أكدت الدراسة على أن المسرح يعتمد على الجانب البصري؛ فلغة الصورة أكثر بلاغة وتأثيراً من لغة الكلام؛ ولأنه دائم التطور بتطور معطيات العصر الفني التي من شأنها أن ترفع الذوق الحسي لدى المتلقي الكبير عامة والطفل بصفة خاصة، من خلال الصورة المتحركة تارة والثابتة تارة أخرى، مع إيقاع ينبض بالمعنى الجمالي لتلك الصورة، بما تشتمل عليه من خطوط وألوان وكتل ومساحات وفراغ.
- تتكون الصورة المسرحية من عناصر مختلفة، يشترط فيها التكامل فيما بينها؛ لتصبَّ جميعها في هدف واحد يتمثل في إنتاج معنى أو بلورة لغة بصرية سمعية يشترط في صياغتها أن تأتي كل العناصر بشكل متوازن عبر منظومة من الرموز والأشكال والعلاقات؛ فكل عنصر له دلالات مميزة له تتفاعل مع بعضها لتعطي مؤشراً دلالياً للمشهد المسرحي، مما يساعد على إثراء معارف الطفل ومعلوماته.
- لكي تتكامل الصورة المسرحية بكل عناصرها فلابد من الدراسة الجيدة للقيم الثقافية المتضمنة في النص الذي هو العنصر الرئيس في العرض والتخطيط المسبق لعناصر

التشكيل في الفضاء المسرحي؛ فذلك بدوره يعمل على تنمية الذائقة الجمالية للطفل وتنمية ثقافته بصفة عامة.

- يمكن لنصوص مسرح الطفل وعروضه أن تلعب دوراً كبيراً في تكوين ثقافة الطفل عبر عناصرها المتعددة.
- يتفاعل الطفل مع الصورة المرئية أكثر مما يتفاعل مع الكلمة المسموعة.

الصادر

- إبراهيم حمادة (١٩٧٠): معجم الدراسات الدرامية والمسرحية، مطبعة دار الشعب، القاهرة.
- حسين براهمي، زينب العيساوي(٢٠١٦): مسرحية الذئب الماكر إنتاج جمعية مسرح الصمود بأم العرائس، تونس.
- ماري إلياس؛ حنان قصاب (١٩٩٧): المعجم المسرحي، مكتبة لبنان

المراجع

- إلين أرسطون، جورج سافونا (١٩٩٦): المسرح والعلامات، ت: سباعي السيد، أكاديمية الفنون، مطابع المجلس الأعلى للآثار.
- أمينة محسن الأكشر (٢٠٠٨): عناصر الإبداع الفني في النصوص والعروض المسرحية الغنائية المقدمة للمسرح المدرسي، رسالة دكتوراه، كلية التربية النوعية، جامعة عين شمس.
- بلقيس علي الدويسكي (٢٠١٢): دور سينوغرافيا مسرح الأطفال على الطفل الممثل والمتلقي، مجلة كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، مج١٨، ع٧٣.
- جبار جودي العبودي (٢٠١٦): السينوغرافيا، المفهوم، العناصر، الجماليات، عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد.
- حسن شحاتة (٢٠٠٨): مستقبل ثقافة الطفل العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.
- حمدي الجابري (٢٠٠٢): مسرح الطفل في الوطن العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- رأفت الجوهري (٢٠٠٣): شريعة الصحراء عادات وتقاليد، بحوث ودراسات النظم الأصلية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة.
- راندا حلمي السعيد (٢٠١٦): توظيف اللغات غير الكلامية في العروض المسرحية، المكتبة التربوية، الأزاريطة، الاسكندرية.
- ريهام عبد الرازق خطاب (٢٠٠٨): فاعلية استخدام برنامج مقترح في إكساب الثقافة المتحفية لأطفال مرحلة ما قبل المدرسة، رسالة ماجستير، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس.
- زينب محمد عبد المنعم (٢٠٠٧): مسرح دراما الطفل، عالم الكتب، القاهرة.

- عبد الفتاح أبو معالي (١٩٨٤): مسرح الأطفال، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان.
- ماجدة محمد سعيد (٢٠٠٤): إعداد برنامج تعلم ذاتي لتنمية الثقافة الفنية المتحفية من خلال مختارات من الفن المصري القديم، رسالة دكتوراه، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان.
- محمد أبو الخير (١٩٨٨): مسرح الطفل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة .
- محمد عبد القادر (٢٠١١): تنوع أساليب الأداء التمثيلي فى مسرح الطفل، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية.
- منير المرسي سرحان (١٩٩٦): في اجتماعيات التربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- هادي نعمان الهيتي (١٩٨٦): أدب الأطفال "فلسفته، فنونه، وسائطه"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- هدى الناشف (٢٠٠٣): تصميم البرامج التعليمية لأطفال ما قبل المدرسة، دار الكتاب الحديث، القاهرة.
- يعقوب الشاروني (١٩٩٣): فن الكتابة لمسرح الطفل، وزارة الثقافة، مطبوعات المسرح المتجول، ع٢، القاهرة، ١٩٩٣.